صَيْحَةُ تَحْذِير
وَصَرْخَةُ نَذِيرٍ

لفضيلة الشيخ/الدكتور
محمد أحمد إسماعيل المقدم
عفا الله عنه

الدعوة السلفية
Omar_rahal2005@yahoo.com

الحمد لله العليم بخلقه ، القائل في محكم كتابه: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: 14] . الرحيم بهم ، ون رحمته أنزل شريعته ناصحة لهم ، ومُصلحة لمفاسدهم ، ومُقوّمة لاعوجاجهم ، ومن ذلك ما شرع من التدابير الوقائية ، والإجراءات العلاجية التي تقطع دابر الفتنة بين الرجال والنساء ، وتُعين على اجتناب المُوبقات رحمةً بهم ، وصيانة لأعراضهم ، وحماية لهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

وبيَّن لهم أن غايةَ الشيطان في هذا الباب أن يُوقع النوعين في حضيض الفحشاء!! لكنه يسلك في تزيينها ، والإغراء بها مسلك التدرج , عن طريق خطوات يقود بعضها إلى بعض ، وتُسلم الواحدة منها إلى الأخرى ، وهي المعنيَّة بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [النور: 21].

والصلاة والسلام على الصادق الأمين , المبعوث رحمةً للعالمين ، القائل: " ما تركت بعدي فتنةً هي أضر على الرجال من النساء " [1] .

والقائل: " فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء " [2] ، الذي حذرنا من خطوات الشيطان إلى إشاعة الفساد , خصوصًا ما أضلّ به كثيراً من العباد من تزيين التبرج ، وإشاعة الفاحشة ، وإطلاق البصر

---

1 () رواه من حديث أسامة بن زيد-رضي الله عنهما-البخاري ومسلم والترمذي .

2 () رواه من حديث أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-مسلم وابن ماجه .

إلى ما حـرَّم الله ، ومصافحة النساء الأجنبيات ، وسفر المرأة بدون مَحرَم ، وخروجها متطيبة متعطرة , وخضوعها بالقول للرجال ، وخلوتها بهم واختلاطها معهم.
وحول هاتين الأخريين: الخُلوة ، والاختلاط تدور هذه الرسالة تذكرةً لمن كان له قلب , أو ألقى السمعَ وهو شهيد , وتبصرة لمن خاف عذاب الآخرة ، {ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} [هود: 103] .

محمد بن أحمد إسماعيل المقدم.
الإسكندرية

أولاً: الخلوة

ما هي الخلوة المحرمة ؟

هي أن ينفرد رجل بامرأة أجنبية [3] عنه ، في غيبة عن أعين الناس ، وهي من أفعال الجاهلية , وكبائر الذنوب .

ما هو الدليل على تحريمها ؟

* ما رواه ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: سمعت النبي يخطب يقول: " لا يخلُونَّ رجلٌ بامرأة إلا ومعها ذو محرم " [4].

* وما رواه عامر بن ربيعة- رضي الله عنه- أن رسول الله قال: " ألا لاَ يخلُونَّ رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان " [5] ، وهذا يعم جميع الرجال , ولو كانوا صالحين أو مسنين, وجميع النساء , ولو كنَّ صالحات أو عجائز .

---

[3] () المرأة الأجنبية: هي غير المَحرمَ , والمَحْرمَ: كل من حرم تزوجها على التأبيد , وتحريمها إما بالنسب , أو بالرضاع , أو بالمصاهرة , فالمحرمات بالنسب: الأمهات , ثم البنات , ثم الأخوات , ثم العمات , والخالات , ثم بنات الأخ , وبنات الأخت , ويحرم من الرضاع كل ما يحرم من النسب . أما المحرمات بسبب المصاهرة: فزوجة الأب , وزوجة الابن , وأمّ الزوجة (وهذه تحريم بمجرد العقد على ابنتها) , وبنت الزوجة (وهذه لا تحرم إلا بالدخول بالأم) .

وعلى هذا من الأجنبيات على الرجل ابنة كل من: عمه , وعمته , وخاله , وخالته .

وزوجة كل من: عمه , وخاله , وابن أخيه , وابن أخته , وكذا أخـت زوجتـه وابنة الصديق والجار , وهكذا .

[4] () رواه البخاري ومسلم .

[5] () رواه أحمد والترمذي , وقال: " حسن صحيح " والحـاكم , وصـححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

وعن جابر- رضي الله عنه- أن النبي قال: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها , فإن ثالثهما الشيطان " [6].

* وعنه –رضي الله عنه-أيضاً عن النبي قال: " لا تلجُو على المغيبات , فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم " [7].

أي: لا تدخلوا على النساء اللاتي غاب أزواجهن , بسفر ونحوه .

وقد تكون القرابة إلى المرأة أو زوجها سبيلاً إلى سهولة الدخول عليها أو الخلوة بها , كابن العم وابن الخال مثلاً , ولذلك حذرنا النبي من ذلك لأنه من مداخل الشيطان , ومسارب الفساد .

فعن عقبة بن عامر-رضي الله عنه-أن رسول الله قال: " إياكم والدخول على النساء , فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله ! أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت " [8] .

والحمو هو قريب الزوج , الذي لا يحل للمرأة , كأخيه وابن عمه , فبينَّ النبي أنه يفسد الحياة الزوجية , كما يُفسد الموت البدن .

قال الأبِّي-رحمه الله-: ((لا تُعرِّضُ المرأةُ نفسَها بالخلوة مع أحد , وإن قلّ الزمن , لعدم الأمن لاسيما مع فساد الزمن , والمرأة فتنة , إلا فيما جُبلت عليه النفوس من النفرة من محارم النسب)) [9] ا.هـ.

---

6 () رواه أحمد .

7 () رواه الترمذي .

8 () رواه البخاري ومسلم والترمذي .

9 () إكمال إكمال المعلم (3/436) .

فالحمكة من تحريم الخلوة هي: سد الذّريعة إلى الفاحشة أو الاقتراب منها , حتى يظل المرء واقفاً على مسافة بعيدة قبل أن يفضي إلى حدود الجريمة الأصلية , {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا} [البقرة: 187] .

ثانياً: الاختلاط

ماهو الاختلاط ؟

هو اجتماع الرجل بالمرأة التي ليست بمحرم له اجتماعاً يؤدي إلى ريبة , أو: هو اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم في مكان واحد , يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم بالنظر , أو الإشارة , أو الكلام , أو البدن من غير حائل أو مانع يدفع الريبة والفساد .

ما هي أدلة تحريم الاختلاط ؟

أولاً: من القرآن الكريم:

* قول الله سبحانه وتعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} [الأحزاب:33] , فخير حجاب للمرأة بيتها .

* وقوله جلَّ وعلا: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ} [الأحزاب: 53] .

ثانياً: من السنة الشريفة:

* قول رسول الله : " المرأة عورة , فإذا خرجت استشرفها الشيطان , وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها " [10] .

* وعن أبي أسيد , مالك بن ربيعة-رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله , يقول وهو خارج من المسجد , وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق: " استأخِرن , فليس لكنّ أن تَحققن الطريق , عليكن بحافات الطريق , فكانت المرأة

---

[10] () رواه الترمذي , وقال: "حسن غريب" وابن حبان , ورواه الطبراني في الكبير , وابن عدي واللفظ لهما .

تلصقُ بالجدار , حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به " [11] .

ومعنى تَحْقُقْنَ: أي تذهبن في حاق الطريق , وهو الوسط , كما في حديث أبي هريرة-رضي الله عنه- قال رسول الله : " ليس للنساء وسط الطريق " [12] .

وقد أفرد في المسجد باباً خاصًّا للنساء يدخلن , ويخَرجن منه , لا يُخالطهن , ولا يُشاركهن فيه الرجال .

فعن نافع عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله قال: " لو تركنا هذا الباب للنساء ؟ قال نافع: فلم يدخلمنه ابنُ عمر حتى مات " [13] .

وعن نافع مولى ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: ((كان عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-ينهى أن يُدخَل المسجد من باب النساء)) [14] .

* ومن ذلك: تشريعه للرجال إماماً ومؤتمين ألاَّ يخرجوا فور التسليم من الصلاة , إذا كان بالصفوف الأخيرة بالمسجد نساء , حتى يخرجن , وينصرفن إلى دورهن قبل الرجال , لكي لا يحصل الاختلاط بين الجنسين-ولو بدون قصد- إذا خرجوا جميعاً .

قال أبو داود في " سننه ": (باب إنصراف النساء قبل الرجال من الصلاة) , ثم ساق حديث أم سلمة-رضي الله

---

11 () رواه أبو داود .
12 () رواه ابن حبان .
13 () رواه أبو داود .
14 () رواه أبو داود وإسناده منقطع .

عنها-قالت: " كان رسول الله , إذا سلم مكث قليلاً , وكانوا يرون أن ذلك كيما يَنفذ النساء قبل الرجال " [15] .
ورواه البخاري أيضاً , وفيه:
قال ابن شهاب: " فُترى-والله أعلم-لكي ينفذ من ينصرف من النساء قبل أن يدركهن من انصرف من القوم " [16] أي الرجال .
وعن أم سلمة-رضي الله عنها- قالت: " كانَ يُسلِّم فينصرفُ النساء فيدخلن بيوتهن من قبل أن ينصرف رسول الله " [17] .

وروي النسائي: " أن نساء كنَّ إذا سلّمن قمنَ , وثبت رسول الله , ومن صلى من الرجال ما شاء الله , فإذا قام رسول الله , قام الرجال " [18] .
قال الحافظ ابن حجر: " وفي الحديث... كراهة مخالطة الرجال للنساء في الطرقات , فضلاً عن البيوت " [19] اهـ .
* وعن أم حميد الساعدية , أنها جاءت إلى رسول الله فقالت: يا رسول الله إني أحبُّ الصلاة معك !! فقال: " قد علمت أنكِ تُحبّين الصلاة معي , وصلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك , وصلاتك في حجرتك خير لك من صلاتك في دارك , وصلاتك في دارك خير لك من صلاتك في

---

15 () رواه أبو داود .
16 () رواه البخاري .
17 () رواه البخاري .
18 () انظر: فتح الباري (2/336) .
19 () فتح الباري (2/336) .

مسجد قومك , وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجدي " [20] .
وعن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-أن رسول الله قال: " لا تمنعوا النساء أن يخرجن إلى المساجد , وبيوتهن خير لهن " [21] .
وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-قال: قال رسول الله : " خير صفوف الرجال أولها , وشرّها آخرها , وخير صفوف النساء آخرها , وشرّها أولها " [22] .
وهذا كله في حال العبادة والصلاة التي يكون فيها المسلم أو المسلمة أبعد ما يكون عن وسوسة الشيطان وإغوائه , فكيف بما عداها ؟! .

عن ابن عباس-رضي الله عنهما-قال: " شهدت الفطر مع النبي , وأبي بكر , وعمر , وعثمان-رضي الله عنهم-يصلون قبل الخطبة , ثم يخطب بعد , خرج النبي كأني أنظر إليه حين يُجَلِّسُ بيده , ثم أقبل يشقهم حتى جاء النساء " [23] . الحديث
وفي رواية مسلم: " يُجَلِّسُ الرجال بيده " , وذلك كي لا يختلطوا بالنساء .
ولقد حرصت الصحابيات على عدم الاختلاط حتى في أشدّ المساجد زحاماً , وفي أشد الأوقات زحامًا , موسم الحج بالمسجد الحرام .

---

20 () رواه أحمد والطبراني , وابن خزيمة , وابن حبان .
21 () رواه أحمد وأبو داود .
22 () رواه مسلم , وأبو داود , والترمذي , والنسائي .
23 () رواه الشيخان .

فلقد كانت أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها- تطوف محجوزاً بينها وبين الرجال بثوب , لا تخالطهم , فقالت لها امرأة: " انطلقي نستلم يا أم المؤمنين " تعني: هيَّا نقبل الحجر الأسود , فقالت لها: عنكِ وأبت [24] , يعني حتى لا تخالط الرجال .

وكانت النساء في عهده , إذا أردن دخول الكعبة المشرفة , يقفن إلى أن يخرج الرجال , ثم يدخلن إذا خرجوا .

ودخلت على عائشة-رضي الله عنها- مولاة لها , فقالت لها: " يا أمّ المؤمنين , طُفْتُ بالبيت سبعاً , واستلمتُ الركن مرتين أو ثلاثاً " , فقالت لها عائشة-رضي الله عنها-: لا آجَرَكِ الله , تدافعين الرجال ؟! ألا كبَّرتِ , ومررتِ ؟! " [25] .

وعن إبراهيم النخعي , قال: " نهى عمر أن يطوف الرجال مع النساء , قال: فرأى رجلاً معهن فضربه بالدِّرَّة [26] , والدِّرَّة: التي يُضربُ بها .

ولقد حطَّ الله عن النساء الجمعة , والجماعة , والجهاد , وجعل جهادهن لا شوكة فيه , وهو الحج المبرور , من أجل أن أفضل أحوالهن الستر والقرار في البيوت , وأداء رسالتهن السامية من وراءِ الحجاب .

من ثمرات الاختلاط :

قال الإمام ابن القيم الجوزية- رحمه الله-:

" ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشرّ , وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة ,

---

24 () رواه البخاري .

25 () رواه الإمام الشافعي في مسنده .

26 () عزاه الحافظ إلى الفاكهاني كما في الفتح (3/480) .

كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة , واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا , وهو من أسباب الموت العام , والطواعين المتصلة " [27] اهـ .
أضف إلى هذا شيوع الطّلاق , وتفشّي التبرّج بالزينة , وانعدام الغيرة , واضمحلال الحياء , وفساد الأخلاق , وتعسير غضّ البصر , وتيسير زنا العين , والتسبب في بلاء العشق الذي يتلف الدنيا والدين .

من صور الاختلاط الحرم:
1- **اختلاط الأولاد الذكور والإناث- ولو كانوا إخوة بعد التمييز في المضاجع** ، فقد أمر النبي ، بالتفريق بينهم في المضاجع .
فعن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما-قال رسول الله : " مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع " [28]
2- **اتخاذ الخدم الرجال ، واختلاطهم بالنساء وحصول الخلوة بهن** ، رُوي في بعض الآثار أن فاطمة- عليها السلام- لما ناولت ابنها أنسًا قال: " رأيت كفًّا " [29] يعني أنه لم يَرَ وجهًا ، وقد كان أنس-رضي الله عنه- خادماً للنبي وكان يعيش عنده كأحد من أهله .
3- **اتخاذ الخادمات اللائي يبقين بدون محارم ، وقد تحصل بهن الخلوة .**

---

27 () الطرق الحكمية في السياسة الشرعية (ص 281) .
28 () رواه أبو داود .
29 () انظر: تكملة فتح القدير (8/98) .

4- **السماح للخطيبين بالمصاحبة والمخالطة التي تجر إلى الخلوة** ، ثم إلى ما لا تحمده عقباه ، فيقع العبث بأعراض الناس بحجة التعارف ومدارسة بعضهم بعضًا .
5- **استقبال المرأة أقارب زوجها الأجانب ، أو أصدقائه في حال غيابه ، ومجالستهم .**
6- **الختلاط في دور التعليم ، كالمدراس والجامعات والمعاهد والدروس الخصوصية .**
7- **الاختلاط في الوظائف** ، والأندية ، والموصلات ، والأسواق ، والمستشفيات ، والزيارات بين الجيران ، والأعراس ، والحفلات .
8- **الخلوة في أي مكان ولو بصفة مؤقتة كالمصاعد ،** والمكاتب ، والعيادات وغيرها .

<u>فيا أولياء النساء والزوجات والبنات:</u>
تذكروا: أنكم موقوفون بين يدي الله تعالى غداً ، ومسؤولون عنهن ، قال رسول الله : " الرجل راعٍ على أهله وهو مسؤول عن رعيته " .
احذروا: " الخلوة ، والاختلاط ، والتبرج " فإنها والزنى رفيقان لا يفترقان ، وصنوان لا ينفصمان غالباً .
واعلموا: أن الستر والصيانة هما أعظم عون على العفاف والحصانة ، وأن احترام القيود التي شرعها الإسلام في علاقة الجنسين هو صمام الأمن من الفتنة والعار ، والفضيحة والخزي .
احذروا: أجهزة الفساد السمعية منها والبصرية التي تغزوكم في عقر داركم ، وهي تدعو نسائكم وأبناءكم إلى الافتتان ، وتُضعفُ منهم الإيمان ، وقد قيل: حسبك من شرٍّ سماعُه ، فكيف رؤيته؟! صونوا بناتكم وزوجاتكم ولا تتهاونوا فتعرضوهن للأجانب .

إن الرجال الناظرين إلى النسا مثل السباع
تطوف باللحمان .
إن لم تصن تلك اللحوم أسودها أُكـلت بلا
عوضٍ ولا أثمان .

إن الأعراض إذا لم تُصنْ بهذه الحصون والقلاع ، ولم تحصن بالأسوار والسدود ، فتسقط-لا محالة- أمام هذه الهجمة الشرسة ، ويقع المحظور ، ولا ينفع حينئذ بكاء ولا ندم ، والتبعة كل التبعة ، واللوم أولاً وأخيراً على وليِّ البنت الذي ألقى الحبل على غاربه ، وأرخى لابنته العنان ، فيداه أوكتا ، وفوه نفخ:

نعبَ الغرابُ بما كرهـ ولا إزالـة للقـــدر .
تبكي وأنـت قتلتهـا اصبرو إلا فانتحـــر .

* * *

أتبكـي على لبنى وأنت قتلتها لقد ذهبت لبنى
فما أنت صانع ؟!

فتش عن الثغرة:

إن جعبة الباحثين والدارسين لظاهرة الاختلاط حافلة بالمآسي المخزية ، والفضائح المشينة ، التي تمثل صفعة قوية في وجه كل من يجادل في الحق بعدما تبين .

وإن الإحصائيات الواقعية في كل البلاد التي فيها الاختلاط ناطقة بل صارخة بخطر الاختلاط على الدنيا والدين ، لخصها العلامة/ أحمد وفيق باشا العثماني ، الذي كان سريع الخاطر ، حاضر الجواب عندما سأله بعض عُشَرائه من رجال السياسة في أوربا ، في مجلس بإحدى تلك العواصم قائلاً: (لماذا تبقى نساء الشرق محتجبات في بيوتهن مدى حياتهن ، من غير أن يخالطن الرجال ، ويغشين مجامعهن؟) ..

فأجابه في الحال قائلاً: (لأنهن لا يرغبن أن يلدن من غير أزواجهن) .
وكان هذا الجواب كصب ماء بارد على رأس هذا السائل ، فسكت على مضض كأنه ألقم الحجر[30].

ولما وفعت فتنة الاختلاط بالجامعة المصرية ، كان ما كان من حوادث يندى لها الجبين ، ولما سئل " طه حسين " عن رأيه في هذا ، قال: (لابد من ضحايا [1] ! ، ولكنه لم يبين: "بماذا" تكون التضحية ؟ و" في سبيل ماذا " لابد من ضحايا ؟! .
وأي ثمرة ممكن أن تكون أغلى وأعز وأثمن من أعراض المسلمين .
فتبًّا لهؤلاء المستغربين ، وسحقاً سحقاً لعبيد المدنية الزائفة الذين أطلقوا لبناتهم ونسائهم العنان يسافرون دون محرم ، ويخلون بالرجال الأجانب ، مُدَّعين أن الظروف تغيرت ، وأن نا اكتسبته المرأة من التعليم ، وما أخذته من الحرية يجعلها موضع ثقة أبيها وزوجها ، فما هذا إلا فكر خبيث دَلَفَ إلينا ليفسد حياتنا ، وما هي إلا حجج واهية ينطق بها الشيطان على ألسنة هؤلاء الذين يتهاونون في الخلوة والاختلاط الآثم بدعوى أنهم رُبُّوا على الاستجابة لنداء الفضيلة ورعاية الخلق ، مثل قوم وضعوا كمية من البارود بجانب نار متوقدة ، ثم ادعوا أن الانفجار لا يكون لأن على البارود تحذيراً من الاشتعال والاحتراق ... إن هذا خيال بعيد عن الواقع ، ومغالطة للنفس ، وطبيعة الحياة وأحداثها .
والآن نستطيع- بكل قوة – أن نجزم بحقيقة لا مراء فيها ، وهي أنك إذا وقفت على جريمة فيها نهش العرض ، وذبح العفاف ، وأهدر الشرف ، ثم فتشت عن الخيوط الأولى

---

30 () الفتن للبيافوني (ص 214) .

التي نسجت الجريمة ، وسهَّلت سبيلها ، فإنك حتمًا ستجد أن هناك ثغرة حصلت في الأسلاك الشائكة التي وضعتها الشريعة الإسلامية بين الرجال والنساء ، ومن خلال هذه الثغرة ... دخل الشيطان! وصدق الله العظيم:{وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28)} [النساء:27-28] .

تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين .

وجزى الله خيراً كلَّ من نشرها ، وأذاعها نصيحة للمسلمين ، وقد قال رسول الله : " **الدال على الخير كفاعله** " .